يحدثوني عن أهم شيء . فهم لم يذكروا لي مثلا كيف أن الاطفال واجهوهم مرارا بهذه الاسئلة :

ـــ « لماذا يا أبي شوهت حياتي ؟ ، لماذا أبعدتني عن الوطن الذي يجب أن أصبح فيه انسانا حقيقيا ، والقيت بي في الغربة المقيتة ، حيث كل شيء هنا بغيض ومكروه » .

فهذا هو سيما لوشنير الطفل الذي بلغ من العمر ثلاثة عشر عاما كتب يقول بالحرف الواحد الى والده عندما حاول ذات مساء أن يهرب من عسقلان الى قبرص ، ومن هناك يركب الباخرة السوفييتية ويعود الى مدينته أوديسا التي تؤرقه في المنام وفي اليقظة : « الابناء يدينون الآباء » .

[٢]

صانعو الشقاء

ـــ بأي شيء فكرتم حينما قررتم مغادرة الوطن العزيـــز ؟.. استمعت الى أجوبة مختلفة على سؤالي هذا . وكان البعض يجيب من مرض عقلي ، وحتى من حمى معدية غريبة في نوعها . لقد قالوا لنا ، أولئك الذين تطوعوا بنصحنا : « اسرائيل ، اسرائيل ، اسرائيل » فقط . ان كلارا روزنتال فلدشر وهي من مدينة بلتسي المولدافية تعلن أن سفرها الى اسرائيل كان حصيلة تلك الرسائل التي كانت تصل من اسرائيل وتتحدث عن « الحياة الزرقاء » على « أرض الاجداد المقدسة » .

« لقد أدركت بعد أن تجاوزني الوقت كثيرا أحد الاسباب الحقيقية التي كانت وراء ظهور هذه الرسائل منذ الساعات الاولى لوصولي الى الارض الاسرائيلية . لقد قابلت مدرسة الموسيقى ماريا لازارفنا فايتسمان المعروفة لدى جميع البلتسيين ـــ نسبة الى مدينة بلتسي بجمهورية مولدافيا السوفييتية ـــ ، بصعوبة عرفتها .. لقد شاخت خلال فترة قصيرة .. واستسلمت للمقادير . انها تعطي دروسا خصوصية في الموسيقى من حين لآخر . لان المدارس الموسيقية في اسرائيل توجد في العاصمة فقط . وكل درس من هذه الدروس يبلغ بها حتى ذروة الدموع . فآباء التلاميذ يرون متجردين من أية لياقة أن من حقهم اعطاء التوجيهات للمدرسة ، ومراقبة وقت حضورها وخروجها بالساعة .

ـــ سألتها : اذا لماذا كتبت في رسائلك تقولين أنك تعيشين في اسرائيل حياة باهرة ؟ لقد تناقلت الايدي رسائلك ، وقضت على الكثيرين من الناس ! » . امتقع لون المدرسة ، وضغطت على قلبها بشدة « اني أشعر بالعار تجاه زملائي . أتذكرين .. لقد كنت انسانة في بلتسي ، وكنت أسير مرفوعة الرأس ، وكان الآباء والتلاميذ يبتسمون لي . أما هنا في اسرائيل فلقد أصبحت تافهة ، ولست مرغوبة من أحد ، واستسلمت أخيرا للمقادير . أحس بالعار لانني أعترف بذلك » .

وآخرون أجابوا على سؤالي موضحين خطأهم المدمر مـــن خلال مشاعر يشوبها الاستنكار . قال لي أبرام بتيلاشفيلي الذي يبلغ من العمر ثمانية وعشرين عاما ، والذي كان فيما مضى .. في تفليسي يعمل ميكانيكيا لتصليح أجهـــزة الراديو « لقد قضـــى الشيوخ علينا نحن الشباب .. وحركت تلك الرسائل التي كانت تصل من اسرائيل المشاعر القومية والدينية . بيد أن القاء الذنب على الشيوخ أمر غير عادل أيضا . كذلك لم يخطر على البال أن هذه الرسائل مزورة ، وقد أمليت املاء ، وان أكثرها يحتوي على أكاذيب ساذجة . ولكن كانت هناك أيضا رسائل لم تبعث الفرحة على الاطلاق . فبمن تثق ، وبمن لا تثق . كثيرون هم الذين صدقوا ولكن كيف ! »